الفصل الاول

موقع مدينة أم درمان وتسميتها

تعتبر مدينة أم درمان من المدن السودانية الكبرى والتي تكون مع رفيقتها الخرطوم والخرطوم بحري العاصمة المثلثة للبلاد.

وتقع أم درمان على الشاطىء الغربي لنهر النيل مباشرة بعد مقرن النيليين الأبيض والأزرق مكونان نهر النيل العظيم.

وتمتد حدودها جغرافياً ما بين خطي العرض ١٥، ٣٢، ٣٣-٣٢ درجة شمالاً وخطي الطول ١٢، ١٥ – ٤٠، ١٦ درجة شرقاً[١].

وقد بدأت أم درمان كقرية صغيرة على سهل فسيح لا شجر فيه حيث كانت محطة لتجار الغرب قبل دخولهم الخرطوم[٢].

وقامت هذه الحلة الصغيرة على أرض منحدرة ولكنها بعض الأجزاء مسطحة تماما وتنحدر أكثر في إتجاه الشمال الغربي حيث يزداد الارتفاع تدريجيا ويصل إلى أقساه تماما عند جبل المرخيات الذي يرتفع حوالي ٥٠-٦٠ مترا فوق السهل.

وتحف أم درمان جبال كرري من ناحية الشمال الشرقي وتتكون تربتها من الحجر الرملي الذي يصلح للسكن[٣].

ولكنه لا يحتوي على مكونات التربة الزراعية مما يتسبب في صعوبة الزراعة وخلق مشكلة تصريف مياه الأمطار والسيول في زمن الخريف[٤].

أما من ناحية المناخ فإن أم درمان تقع في منطقة التقاء المناخ شبه الصحراوي في غرب السودان والسافنا الفقيرة في شرقه [٥]. خريفها ممطر وصيفها حار وشتاؤها بارد وجاف وتجتاحها عواصف ترابية محلية[٦]. (انظر خريطة ملحق رقم (١).

وقد كان لهذا الموقع أثره في إن جعل هذه القرية الضئيلة الشأن ملتقى طرقا لربط أسواق غرب السودان عن طريق بارا – الأبيض، كادقلي – الفاشر، نيالا – كريمة ومع الجنوب عن طريق الدويم – كوستي. والشمال عن طريق أئمة كريمة –

---

(١) بقيع بدوي محمد عبدالرحمن، التشكيل في أعمال الابرة في منطقة أم درمان الفترة ١٩٠٠- ١٩٤٠ اطروحة ماجستير شبعة الفلكور، معهد الدراسات الأفريقية الأسيوية، جامعة أم خرطوم، ١٩٨٧م، ص ٢٠.

(٢) نعوم شقير نقولا، جغرافية وتاريخ السودان، دار الجبيل، بيروت، ١٩٨١م، ص١٠٩.

(3) Doxciadis-associaes-consulting Engineer Omdurman Along term progran and Masterplan for the development of town Government of repuluic of the Sudan. Ministry of local government final report. 1959. P:32.

(4) Hashim EL Bedri, the Evolution of Omudrman asaindeinous Town, ph. D. Disscrtation Department of Geography, faculty of Arts Unversity of Khartoum 1992, p.79.

(٥) هاشم البدري، المصدر السابق، ص ٨١.

(٦) نفس المصدر ٨٥.

obeikandi.com

دنقلا. كما يلعب نهر النيل دورا مساعدا كوسيلة مواصلات للمناطق القريبة، ويربطها جسر شمبات بالخرطوم بحري وجسر النيل الأبيض بالخرطوم العاصمة[١].

أصل أم درمان ونشأتها واسمها

وأما عن أصل أم درمان ونشأتها واسمها فهناك العديد من الروايات الشفاهية عن نشأتها وأصل اسمها الذي كتب عنه الكثيرون في الماضي ولا زالت هذه الروايات والكتابات متداولة إلى هذا اليوم. وتكمن أهمية هذه الروايات في أنها تدل على الاستمرارية والتواصل لوجود العنصر البشري في المنطقة منذ القدم.

فيذكر مكي شبيكة أن أم درمان كانت قبل المهدية مجرد مكان يقصده الناس لعبور النيل للناحية الشرقية[٢].

ويرى الأب أوهرولدر أن أم درمان كانت تلا صغيراً على الضفة الغربية من النهر في اتجاه مقرن النيليين ثم أطلقوا الاسم على عاصمة المهدية أما قبل الثورة المهدية فقد كانت عبارة عن بعض الأكواخ تحيط بها تلال الحجر الجيري وتمد الخرطوم بمواد البناء وبها بعض الأشجار الشوكية الكثيفة التي يستخدمها لصوص البطاحين كمخازن[٣].

وتدور رواية أخرى عن أنه في فترة حكم الفونج سكنت قبيلة من قبائل النوبة- بعد سقوط سوبا عاصمة دولة علوة المسيحية في أول القرن السادس عشر الميلادي، أطلق عليها اسم القدماء أي السابقين للفونج[٤].

وكان ملك الفونج يدعى وشل وبعد وفاته أخذت زوجته مقاليد الحكم في المملكة وكان اسمها **"أم درمان"** فأطلق أسمها على المدينة[٥]. ويقول الشاعر محمد المنور في رثاء المهدي:

أبكو يا عقلا بدموع المقلا للزايد حسارو في وشل انتقلا[٦]

وذكر الشاعرلوشل يؤكد أن هذه الرواية كانت سائدة ومعروفة أبان زمن المهدي والأنصار يعلمون أنما نزلوا بأرض وشل قديما. ويقال أن اسمها : "الدرمان" وصح إبدال اللام ميما لحديث الرسول ﷺ " ليس من أم بر أم صيام في أم سفر" وكلمة[٧]" مان" تعني كذب فيصير المعنى كذب "الدر" أي أن الدر يبدو كاذبا بجانب حصباء هذه المدينة.

وقد وردت رواية "درمان" هذه بشكل آخر وهي أن أحد بنات ملوك الفنج كانت قد نزحت لهذه المنطقة ومعها خدمها حيث قاموا ببناء منزل لها بالحجر محاطا بسور متين وبنو لأنفسهم منازل حولها ويذكر أن آثار هذا المنزل موجودة في حي بيت المال الذي يوجد بأم درمان حاليا ويذكر أن كان لها ابنا يسمى "درمان" فكان من يمر بهذا المكان أو ينزل فيه يقول

---

(1)Hashim EL Bedri, the Evolution of Omdurman P.82.

(٢) دكتور مكي شبيكة: السودان عبر القرون، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٤م، ص٣٣١.

(3) Major F.R. Wingate, Ten years captivityin the Mahdis camp from original manuscripts of fahter Oherwalder. Sampsan law, London, Nineteenth Edition 1893, P: 205.

(٤) مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية مجموعة النصوص والوثائق الخاصة لتاريخ السودان في العصور الوسطى، دار الاتحاد العربي للطباعة بالقاهرة، ١٩٧٢م، ص١٩٨.

(٥) محمد عبدالرحيم: افتتاحية العدد الأول، مجلة أمدرمان ١٥ سبتمر ١٩٣٦م، ص ١.

(٦) قرشي محمد حسن: قصائد من شعراء المهدية، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ١٩٧٤، ص٢٩٠.

(٧) محمد عبدالرحيم، افتتاحية العدد الأول، مجلة أم درمان، مصدر سابق، ص ١.

(٧) دكتور محمد إبراهيم الوسيم: تاريخ الخرطوم، دار الإرشاد، الخرطوم، ١٩٧١م، ص٨٤.

نزلت بأدرمان كناية عن اسم هذا الإبن "درمان" فعرفت الحلة أو مكان ذلك المنزل بأم درمان(٧) ذلك الاسم الذي طور في الوقت الحالي وأصبح يكتب "أمدرمان"[١] كناية عن اسم هذا الإبن "درمان" فعرفت الحلة أو مكان ذلك المنزل بأم درمان ذلك الاسم الذي طور في الوقت الحالي وأصبح يكتب "أمدرمان"[٢].

ويبدو أن هذه الرواية أكثر شيوعاً وتداولاً بين الناس منذ القدم وهي من الروايات اللطيفة. وتذكر رواية أخرى أن كلمة "درمان" تعني الجبل الصغيروكان بالمنطقة "درمانين" فأصبحت تدعى " أم درمانين" ثم تحولت إلى أم درمان أي المكان الذي يحوي الجبال الصغيرة[٣].

وتقول بعض الروايات أن المهدي أول من أطلق على المنطقة هذا الإسم حتى تصبح "دارامان" بقدومه[٤] ولكننا لا نسلم بصحة هذه الرواية حيث أن معظم المصادر المكتوبة والروايات الشفهية عن أم درمان قبل المهدية ذكرتها بهذا الاسم وهذا دليل قاطع على أن الاسم كان متداولاً عند وصول المهدي إليها .

ومن المنطق أن نقول بأن اسم أم درمان لا يطلق على غير مسمى ولم يعرف بأن اسم أم درمان قد أطلق على معلم من المعالم الطبيعية جبل مثلاً أو وادي أو غيره ولكننا رغم ذلك لم نقف على قول أو رأي قاطع عن أصل ذلك الاسم بعد الا من خلال تلك الروايات المذكورة٠

الكتابات السابقة عن أم درمان في العهد المسيحي :

إن معظم الدراسات عن أم درمان قليلة خاصة ففي الفترة المسيحية وجد من كتب عنها هم الأجانب الذين قد يؤثر انتماؤهم العرقي أو الحضاري على وضعهم في المنطقة ومعظمهم من الرحالة أو التجار الجوالة بالإضافة إلى بعض الاستكشافات التي تمت في فترة الخمسينات، ويظهر في استعراضنا للكتابات عن المنطقة طرح سريع لتاريخ مدينة أم درمان.

أثبتت الدراسات التي أجريت في منطقة أم درمان وجود حياة بشرية منذ القدم ويعتقد أستاذ الجغرافيا السوداني صالح العريفي أن وجود العنصر البشري في أم درمان أقدم من منطقة الفيوم بمصر والتي يعتبر أن بها أقدم آثار وجود للإنسان المعاصر "٨ آلاف عاماً ق.م."[٥].

وسجل فيركتوتر اكتشافه لقبرين غرب كبري النيل الأبيض يعودان إلى الفترة ٣٠٠٠- ٢٨٠٠ق.م[٦] ويذكر جون افري أن الزراعة واستئناس الحيوان ظهرت في الفترة ٤٠٠٠- ٣٠٠٠ق.م. في منطقة الشاهيناب[٧] وتقع الشاهيناب على بعد

---

(١) دكتور محمد إبراهيم الوسيم: تاريخ الخرطوم، دار الإرشاد، الخرطوم، ١٩٧١م، ص٨٤.

(٢) دكتور محمد إبراهيم الوسيم: تاريخ الخرطوم، دار الإرشاد، الخرطوم، ١٩٧١م، ص٨٤.

(3)Hashim EL bedri the Evolution Omdurman . P: 90.

(٤) آمل عمر أبو زيد، دراسة لبعض الأدوات والمواد المرتبطة بمراسم وطقوس الزواج بمدينة أم درمان، الفترة ١٨٨٥- ١٩٨٥م، أطروحة ماجستير معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٩١م، ص١.

(٥) مقابلة مع د. مصطفى مبارك مصطفى بمنزله بالدوحة، قطر، ١٩٩٧/٤/١٧م.

(6) F.Renfesch "Asketch of the History Omudrman "Sudan Notes and Recols vol. 45. 1964. P: 35.

(7)A.J. Arkell Shaheinab an Account of Excavation of Aveoltinic occupation site carried out of the Sudan Antiqutesservice in 1945-1950 Oxford University press, London. 1953, P. Vii.

obeikandl.com

٣٠ ميلاً شمال أم درمان وقد أجرى أركل دراسات كثيرة حول بعض القبور التي تعود إلى نفس الثقافة لنفس الحقبة من الزمن.وقد عرض أركل في كتابه العديد من الأدوات التي تم اكتشافها وتعود إلى فترة العصر الحجري الحديث ومنها بعض أدوات الصيد وحلي الزينة وأدوات المطبخ، وذلك يدعم رأي أفري بوجود استقرار كامل في المنطقة يحتوي كل مناشط الحياة ويمكننا القول بأن حضارة أم درمان تنتمي إلى ثقافة تختلف عن تلك التي بالشاهيناب وأن كان هناك اتصال بين الثقافتين تدل على الفخاريات التي وجدت في القبور، وذكر أرسلان بك أنه وجد آثار عمران قديم في عدد من المواقع في أم درمان[١].

في عهد الفونج:

جاء ذكر أم درمان في كتاب الطبقات لمجمد نورين ضيف الله مرتين فقد جاء في ترجمة الشيخ حمد بن محمود علي الذي اشتهر بود أم مريوم وقول مؤلف كتاب الطبقات:

"ودعا على أولاد عجيب والفونج الخرطوم حلته الفي أم درمان حتى بيوتهم في زريبة فهلكوا بالجدري في سنتهم".

وقد علق يوسف فضل على ذلك بقوله " أم درمان" تعد هذه أقدم إشارة إلى أم درمان. كما كتب عنها الرحالة البريطاني بروان الذي زار دارفور من ١٧٩٣- ١٩٧٦م وقد ذكر يوسف فضل ذلك . كذلك أن بعض الروايات تدعم أصل الاسم وأنها نشأت قبل السلطنة الزرقاء وكان يشير بذلك إلى مقال محمد إبراهيم أبو سليم في مجلة الخرطوم إبريل ١٩٦٦م[٢]. وورد ذكر أم درمان في كتاب الطبقات مرة أخرى في ترجمة عبدالمحمود النفولابي: "الفكي حمد نازل في حلته أم درمان انطلقت النار وأكلت جميع خلواته"[٣].

ويحدد ماك مايكل أنه لم تكن هناك أي إشارة لأم درمان قبل هذه الإشارة والمحتمل أنه وأتباعه قد وجدوها كما قال أحد مؤرخي الفونج قد أسماها "قريته"[٤]. والصحيح إن استعمال لفظ قريته لا يعني على الإطلاق إن القرية لحمد ودام مريوم، وإنما يعني أن القرية التي يعيش بها أو ينتمي إليها حمد ودام مريوم. ولا يحتمل أنهم هم من أوجدوها بدلالة الحفريات التي أكدت وجود حياة في المنطقة منذ القدم والراجح أن المنطقة قد مرت بفترة اضمحلال وقل بها عدد السكان لفترة من الزمان وذلك يبرر عدم ذكرها مرة أخرى وذكرها في تلك الفترة سرافيلد قائلاً أن حمد كانت له خلوة بالمكان الذي يعرف الآن بأم درمان[٥].

---

(١) أبو سليم ، تاريخ الخرطوم، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٢) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات: وحي الأولياء، والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقق: يوسف فضل، دار الخرطوم، جامعة للنشر، الخرطوم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ص١٨٠.

(٣) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات، ألمصدر السابق، ص ٢٨٨.

(4) F.Renfisch. "Asketch of Early History of Omdurman".P.35

(٥) المصدر نفسه.

obeikandi.com

ووصف الرحالة بروان أم درمان بأنها قصار ملتقى النيل الأبيض والأزرق وأشار إلى أن كل السكان كانوا يتكملون العربية، وكانوا مسلمين، أنها كانت في طريق التجارة من وإلأبيد ويقصد الأبيض[١]. وبذا ذكر إن لفظ أم درمان يتكرر في تلك الفترة مما يدل على أنها أصبحت مكاناً معروفاً.

ويذكر سليمان كشة رواية أخرى تقول أن النفوذ الروماني انتشر قبل الفتح الإسلامي وجعل عاصمته على الضفة الشرقية للنيل عنده موقع " قبة خوجلي" وبنى الحاكم "ديرمان" قصراً لوالدته على الضفة الغربية سمي قصدر "أم ديرمان" ثم أهمل لفظ قصر وبمرور الزمن صارت "أم درمان"[٢].

وفي العام ١٧٨٤- ١٧٨٥م تقابل جيش السلطان تيراب مع العبدلاب وهزمهم في أم درمان وبقي لعدة أشهر في أم درمان. وربما كانت أم درمان في تلك الفترة مدينة كاملة إذ لا يمكن لجيش كامل أن يستقر في مكان ويشرع في صناعة مراكب ما لم يكن بالمنطقة إمكانية توفير متطلبات هذا الجيش[٣].

وظهرت أم درمان لأول مرة على خريطة في العام ١٧٩٨ وفي عام ١٨٠٤ حينما طارد ود رجب محمد ودكتمور الذي تآمر على قتل ملك الفونج وأجبره على أن يعبر النهر وتوقف كتمور في أم درمان وتدخل العلماء ورجال الدين بمنع ود رجب من قتل كتمور[٤] ويتضح مرة أخرى أن أم درمان كانت مدينة كبيرة بها رجال دين ذوي نفوذ.

امدرمان في الحكم التركي المصري:

ويؤكد حديث لكاتب الشونة ما ذهبنا إليه أن أم درمان في بدايتها لم تكن سوى قرية صغيرة حتى أول يوم من رمضان سنة ١٨٣٦هـ عندما نزل إسماعيل باشا أم درمان بالجانب الغربي مقابل الخرطوم فهرب منه بعض الناس وقابله البعض فأعطاهم الأمان لقريتهم ولأنفسهم ونساءهم وتكامل الخرطوم[٥].

وقد ذكر كايو الأوربي أن أمدرمان باسمها واصفا عبور جيش إسماعيل منها إلى الخرطوم[٦].

كما ذكر ماك مايكل أيضاً أن إسماعيل باشا قد عسكر بأم درمان ومنها قطع النهر إلى الخرطوم. ولم يشر إلى أنه قد قابل أناساً في ذلك الموقع وهذا [٧]القول يوضح ما ذكرناه من أن أمدرمان في بداية القرن التاسع لا تعدو من أن تكون قرية أو حلة صغيرة.

---

(١) سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية بدون تاريخ، ص٣٨.

(٢) سليمان كشه: تاريخ مدينة الخرطوم والمهدية، بدون تايخ، ص ٣٨.

(٣) محمد بن عمر التونسي، تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق : محمود عساكر ومصطفى مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٣٧٩.

(٤) أحمد بن الحاج علي، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطة السنارية والإدارة المصرية، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، ١٩٦١م، ص٧٨.

(5) H.AMC. Michacl Ahistory of the Arabs in the Sudan and sowe Account of the tribes inhabiting Darfur v72. Frenk cassand corany LTd. London. 1964, P.379.

(٦) أبو سليم، تاريخ الخرطوم، مصدر سابق، ص ١٢.

(7)H.A.MacMichad, Ahistory of the Arabs in the Sudan Op.cit.,P.386.

وقد ذكر المؤرخ كايلاند الذي كان يصحب إسماعيل وجيشه ويتفق معه مكي شبيكة بأن محو بك قد استقبل خلفه خورشيد باشا في أمدرمان في ١٨٢٦ وأن اللورد برود قد دُعي إلى مؤتمر في ذلك العام في أمدرمان[١]. ولكننا نستبعد انعاقد مؤتمر في العراء إلا إذا كان لا يهمهم أمر الناس من قريب أو بعيد.

وهناك رحالة ومكتشف فرنسي قد كتب عن أمدرمان كبلد تسكنها قبيلتان هما أم درمان والفيتحاب وذلك عام ١٨٣٩[٢] وما يهمنا من هذا القول اثبات بلد مسكونة اسمها أمدرمان. أما وجود قبيلة اسمها أمدرمان فهو خطأ وليس هناك قبيلة تسمى أمدرمان.

وقد رسم المهندس الفرنسي أرنولد خريطة للخرطوم والنيلين وأظهر أمدرمان على الشاطىء الغربي كمدينة مؤهولة بالسكان وذلك في عام ١٨٤٠ ولكن لم يشر إلى معالم المدينة سوى بأربعة أسماء ومن المرجح أنها الطرق وترجمتها الحرفية من الحروف الافرنجية وهي فوقاتي وتحتاني ووسطاني وعتمور.

ولعل قد قصد به حي العرب أو زريبة المواشي. وأكد قوله هذا المؤرخ نشوري بأن هناك بلدة تسمى أمدرمان وأن بها سوقا اشترى منه دجاجتين . كما أن مؤرخ آخر وهو روني قد كتب في نفس العام بأنها قد كانت موطنا للجعليين والفتيحاب الذين نزحوا من الشمال وأن تلك الكماين الموجودة بها هي التي بناها السلطان تيراب عند قرية العبدلاب. وفي عام ١٨٦٠ كتب المكتشف ايجين بأنها مدينة هامة وملتقى طرق تجاري تتفرع منها ثلاثة طرق برية هامة أحدهما للأبيض والثانية لدنقلا والثالثة للصوفي[٣].

وفي عام ١٨٦٣م وجدت لوحة فنية لسائح فرنسي أظهر فيها التقاء النيلين وأظهر، أمدرمان على الشاطىء كأكواخ من القش والقصب والمأهولة. وهناك نخيلاً على الشاطىء[٤].

وإذا أخذنا هذه اللوحة كمصدر فإنها تؤكد وجود أمدرمان كبلدة صغيرة أو قرية هامة قديمة نوعا ما لأن النخيل يغرسه الناس ويحتاج إلى زمن طويل لارتفاعه وطرح ثماره.

وقد وصفها مصطفى حامد بأنها كانت عبارة عن غابة مليئة بالأشجار الشوكية والوحوش والغزلان التي ترتفع فيها من كل جانب وكان أهالي توتي يعبرون النيل إليها من الناحية الشرقية لجلب الحطب من غاباتها ولصيد الأرانب والغزلان والطيور المختلفة[٥]. إذن لم تكن يوماً محطاً للأنظار أو بها ما يوحي للإستقرار فيها بل كانت نقطة عبورواستجمام إلى أماكن أخرى.

---

(١) التجاني عامر، مجلة الحياة، ألعدد ١٣٢، ١٩٧٠/٤/١٧م، ص١٥١٤، شركة الأيام للصحافة، مطابع الأيام.

(٢) التجاني عامر، العدد ١٣٢، ١٩٧٠/٤/١٧م، ص ١٤- ١٥.

(٣) التجاني عامر، نفسه، ص١٤.

(٤) التجاني عامر، المصدر السابق، ص ١٥.

(٥) مصطفى حامد الأمين، أمدرمان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠٠م، دار النشر أمدرمان، ص٥.

obeikandl.com

ولم نصل لما يشفي القليل عن ذلك الموضوع رغم المعلومات التي بأيدينها والتي تحدثت عن أمدرمان عبر تلك القرون الطويلة منذ العصور المختلفة التي ذكرتها تلك المصادر العديدة، وذلك لما ذكر عن أنها لم يكن لها وجود حقيقي سوي انها مكان صغيربه قليل جدا من السكلن حسب ما ورد٠

قيام أم درمان في المهدية وأسباب اختيار المهدي لأم درمان:

بعد أن استتب الأمر للمهدية في بقية أنحاء السودان كردفان ودارفور وبحر الغزال وخط الاستواء. توجه المهدي وأتباعه لحصار الخرطوم حيث عسكر في منطقة أبي سعد جنوب أمدرمان أكتوبر ١٨٨٤م[١] (خريطة رقم ٢ ملحقة).

وقد كانت أمدرمان طابية استسلمت قبل الخرطوم[٢] . وقد زار المهدي قصر أبي بكر الجاركوك الذي خصص له[٣] ولكنه لم يقم في الخرطوم إقامة دائمة وقد كانت تلك بداية لمرحلة جديدة لقيام أمدرمان في المهدية ١٨٨٥م.

أسباب اختياره لأم درمان:

أما أسباب اختياره لأمدرمان كما توردها بعض المصادر المختلفة.

أولا :

أنه لم يكن ينوي الإقامة في أمدرمان ولا الخرطوم التي سقطت ١٨٨٥م في يده إنما كانت إقامة مؤقتة وقد مهد بذلك لموقع آخر من خلال الآيات القرآنية التي كان يرددها في خطبته الأخيرة في الخرطوم.

ثانيا:

لقد شاء القدر لاختيارها وذلك بحزوه حزو النبي ﷺ بأنه أطلق العنان لناقته وحدد أن موقع استقرارها هو مكان لإقامته[٤] فكانت أمدرمان الحالية التي أطلق عليها اسم البقعة المباركة أو الطاهرة، كما أنها عرفت بدار الهجرة، فظهر ذلك المعسكر كعاصمة للمهدية وبدأ تأسيس جهاز الإدارة وانتقال مركز الثقل من غرب السودان إلى المكان الجديد[٥].

ثالثا:

وقد قدر لهذا الجهاز أن يتأسس في أمدرمان إذ أن المهدي اعتبر الخرطوم موطن الترف، وهو إنما أراد لنفسه وأصحابه حياة الزهد والتقشف. وربما كان يدرك جيداً أن موقع أمدرمان الإستراتيجي أفضل من موقع الخرطوم (انظر خريطة ملحق رقم ٣).

وقد كتب الشاعر ود سعد عن اسم " البقعة" الذي أطلق على أم درمان فقال:

بقعة أم در آمان الخايـــف ما ياباها إلا الهايـــــف

أرجع بـــي أولادك يا هايف مقوي قلبك ما خايـــــف[١]

---

(1)H.A. MacMichacl, history of the Arabbs in the Sudan.

(٢) مكي شبيكة: تاريخ شعوب وادي النيل ، مصر والسودان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ص٦٨٠.

(٣) نعوم شقير: تاريخ السودان، ١٩٢٣، ص ٢٦٣.

(٤) محمد إبراهيم أبو سليم: تاريخ الخرطوم، دار الإرشاد الخرطوم ١٩٧١م، ص٨٤.

(٥) الشاطر بصبلي عبدالجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، مطبعة أبو فاضل، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٢٠٠.

obeikandi.com

وصف لأم درمان في بداية الحكم المهدي ١٨٨٥م:

كانت العمارة بمعسكر أمدرمان في بداية الدولة المهدية لا تعدو أن تكون رواكيب "جمع راكوبة" وقطاطي من القش[٢]. ويمكن أن يقال أنها مساكن مؤقتة خططت باستراتيجية عسكرية حربية.

وتورد المصادر المختلفة بأن أمدرمان في عهد المهدي كانت عبارة عن قلعة عسكرية تضم مختلف التنظيمات العسكرية واخلاط الجنود ملازمين جهادية، جنود نظاميين وغير نظاميين ولم يحظ ذلك المعسكر بقدر من الاهتمام إنما كانت المواد المستخدمة في بنائه من الشكاب والبروش، بما في ذلك منزل المهدي ومسجد الخليفة عبدالله وبنيت منازل الأمراء وبيت المال وبعض المواقع الحكومية الخاصة[٣].

ما عدا مباني أجهزة الدولة والتي كانت تمثل السلطة والنفوذ التي كانت تعتبر من أهم المعالم في المدينة. وقد امتدت أمدرمان في مساحة كبيرة من الأرض وامتلأت بعدد كبير من القبائل المختلفة الوافدة من نواحي السودان.

وقد نشأت في المهدية بشكل عمراني غير منتظم وأخذت تشكل مستطيلاً، وأن كان فيه عنصر العشوائية الذي ما زال ينعكس على خارطتها في اليوم حيث كان امتدادها أساساً شمالاً[٤].

وقد اتجهت الرغبة في بادىء الأمر إلى السكن على مقربة من النيل في تسهيل الحصول على الماء الكافي الذي كان يصعب الحصول عليه آنذاك فنتج عن ذلك ازدياداً من ناحية وقل في ناحية أخرى. وبالرغم من تلك العشوائية في شكلها الذي امتد في نواحي كثيرة إلا أنها غدت تلك المدينة الناشئة التي تحف بها هالة السلطة المركزية والمطبعة العسكرية والذي جعل تلك المدينة تدب فيها الحركة وعدم الاستقرار منذ أن قامت في أبي سعد وحتى انتقالها إلى أمدرمان[٥].

ولعل سبب تلك النشأة البدائية التي تحدثنا عنها قد تبدو فيها الناحية الصوفية الزاهدة والتي دعى إليها المهدي كما يورد ذلك محمد إبراهيم أبو سلم[٦]، ولقد كان ذلك واضحاً من خلال المباني التي بنيت بتلك المواد "الشكاب والبروش والقش" والتي قد تتلاءم مع تلك الوفود الرائحة والغادية للمدينة والتي كانت تبني منازلها مع ما يتناسب مع خبرتها الفنية والمادية[٧].

كما أن المهدي كما ذكرنا سابقاً كان لا ينوي الاستقرار في أمدرمان وذلك من خلال ما وقفنا عليه من سلاطين وبعض المصادر الأخرى والتي ذكرت بأن المهدي قد صرح علنا في المسجد الكبير بأن أمدرمان محله وقتية لأن رؤيا النبي ﷺ

= =

(١) قرشي محمد حسن من شعراء المهدية: مصدر سابق، ص١٦٧.

(2)F.R. Wingate. Mahadism and the Egyptian Sudan second edition Cass and CoLTD 1968p.255.

(٣) فدوى عبدالرحمن علي طه أمدرمان في فترة المهدية ١٨٨٥- ١٨٧٩م، بحث تكميل درجة الشرف قسم التاريخ، جامعة الخرطوم، بحث غير منشور، ١٨٧٩م.

(٤) عصمت حسن زلقو، كرري، ١٩٧٢، ص ٦٣.

(٥) محمد القدال التاريخ السياسي الاقتصادي للدولة ومظاهرها وتطيقها ومصادرها ، ندار النشر بالخرطوم، ١٩٨٦م، ص ١٠٣- ١٠٤.

(٦) دكتور محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية ببيروت، ١٩٨١، ص٢٨.

(٧) محمد سعيد القدال السياسي الاقتصادي، المصدر السابق، ص ١٠٣.

obeikandl.com

والتي ظهرت إليه في إحدى الليالي وأمرته بنقل خلافته إلى الشام بعد التغلب على مصر وبلاد العرب. ولكن موته المبكر قد شتت جميع مشاريعه وقضى على آماله وآمال أتباعه[1]. وإذا سلمنا برأي سلاطين باشا وقد نجد دليلاً لا يناهض الشك في صحة هذا الرأي نسبة لتناوله من مصادر عديدة بالرغم من ما قام به المهدي وأنصاره في وضع اللبنات الأولى للمدينة وإتباعه في ذلك للسنة النبوية الشريفة لاختيار المكان الذي كان موضع القبة حالياً.

فلربما أراد المهدي تأسيس المكان بهذه الطريقة لكي يعود مرة أخرى بعد التعلب على البلاد التي ذكر رؤيتها في الحضرة، فلذا ذكر تلك الإقامة الوقتية التي عاناها سلاطين باشا. أو قد تكون لإقامة مؤقتة كما كان فعل ذلك في الأماكن التي يفتحها ولا يستقر فيها . ويؤيد هذا الرأي عبدالرحمن الرافعي بأن "الدراويش[2]" بعد أن استتب لهم الأمر بعد الاستيلاء على الخرطوم والاستقرار في أمدرمان اطمأنوا من الغارات الخارجية حتى شرعوا في بناء منازلهم التي تليق بمكانة كل منهما وحاجته الحالية[3] ويذكر القدال بأن حياة البساطة التي وصفت بها المدينة عند قيامها في المأكل والمشرب والشكل تتناسب مع ما دعي إليه المهدي من تخليص المجتمع من الرواسب التي لحقت به قديما في التركية وأن حياة البزخ والترف الذي كان يعيشها الناس في العهد التركي المصري جعلت المهدي يرى الآتي :

أولاً : أن المدينة كانت تمثل بالنسبة للناس وجها للحكم والسلطة كما أن المهدي لا يميل لسكنى المدن وإنما العزلة بعيد عن المدينة.

ثانياً: رغبته في الحفاظ على أنصاره في حالة إستعداد تام للجهاد وبعيداً عن حضريات المدن.

ثالثاً: معرفة التامة بأن حياة المدينة قد تصرف الناس عن الجهاد وترغبهم في النيا وتبعدهم عن الآخرة . وهذا ما لم يرغب فيه هو وقد خرج رافعاً راية الجهاد وإصلاح المجتمع[4].

نخلص من ذلك أن قيام أمدرمان في أوائل عهد المهدية كقلعة عسكرية بتلك المفاهيم والتي دعا إليها المهدي بعيد عما كل يتنافى مع روح الدين والبساطة التي أرادها، وبالرغم من أنها كانت مؤقتة كما وقفنا عليه من مصادر عدة إلا أنها كانت النواة الأولى لأمدرمان الحديثة والتي قامت ١٨٨٥ والتي سوف نتحدث فيها بالتفصيل في الفصل الثاني٠

---

(١) سلاطين باشا السيف والنار تعريب جريدة البلاغ مكتبة الحرية بامدرمان. ١٩٣٠، ص٢٧٣.

(٢) الدراويش: لفظ أطلقه المعادون للمهدي على أصحابه وقد نهى المهدي من استعمال ذلك اللفظ. وأمر بأن لا يطلقه على أصحابه وهي كلمة تعني من غرق في الذكر والعبادة وزهد عن الدنيا وما بها.

(٣) دكتور عبدالرحمن الرافعي مصر والسودان في أوائل الاحتلال، الطبعة الأولى،القاهرة، ١٩٤٢، ص١٧.

(٤) محمد سعيد القدال، المصدر السابق، ص١٠٣.

obeikandl.com